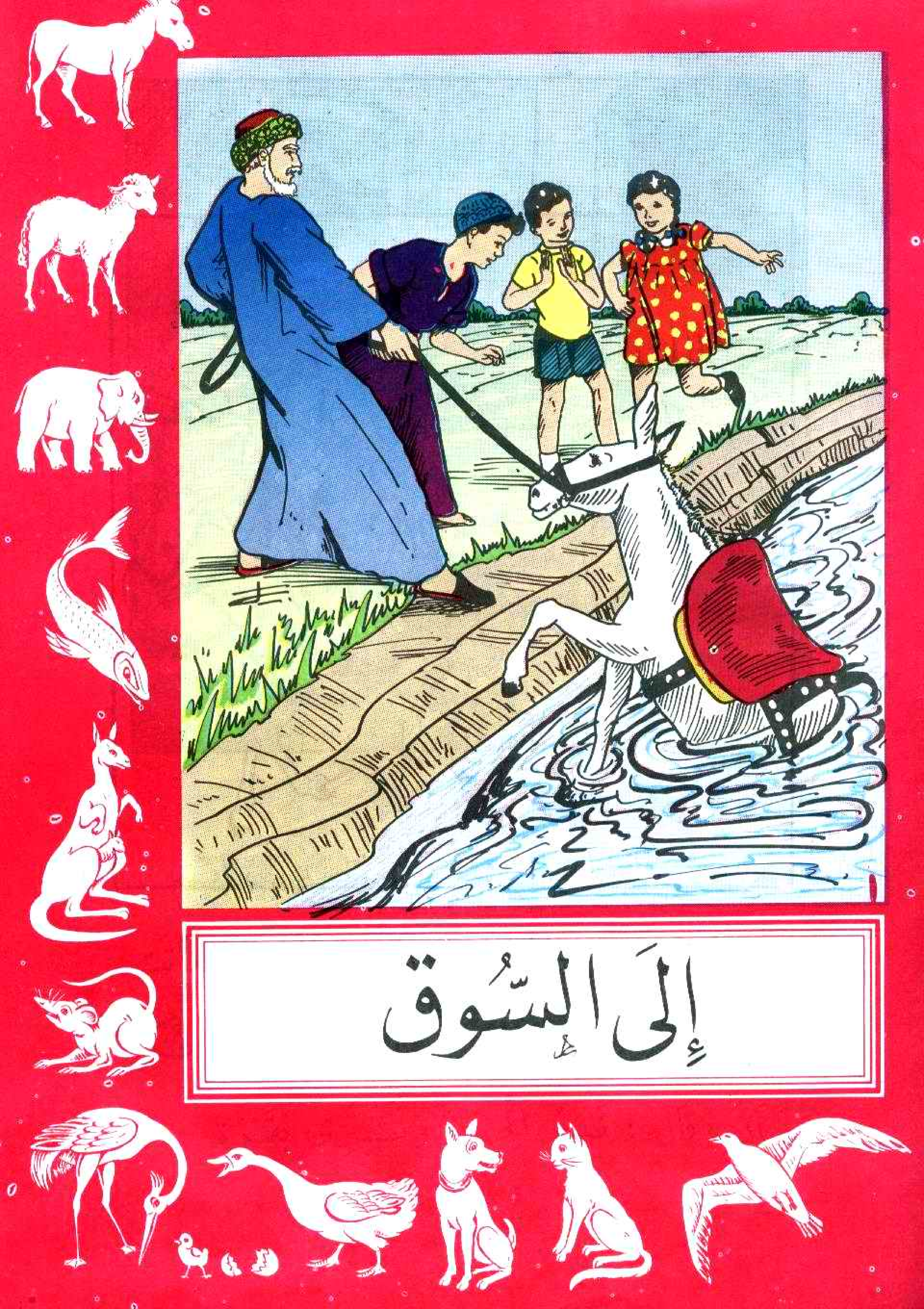
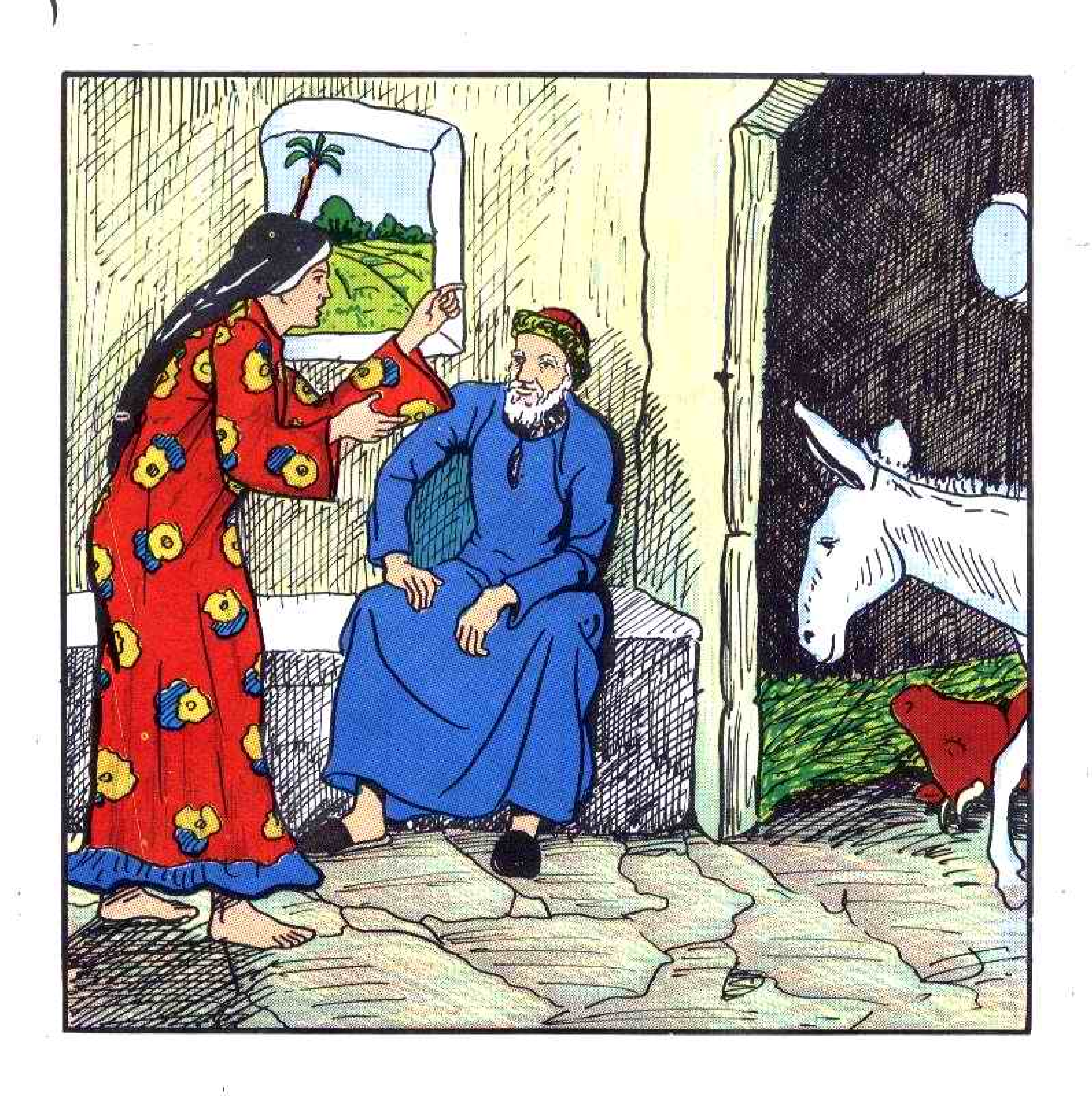


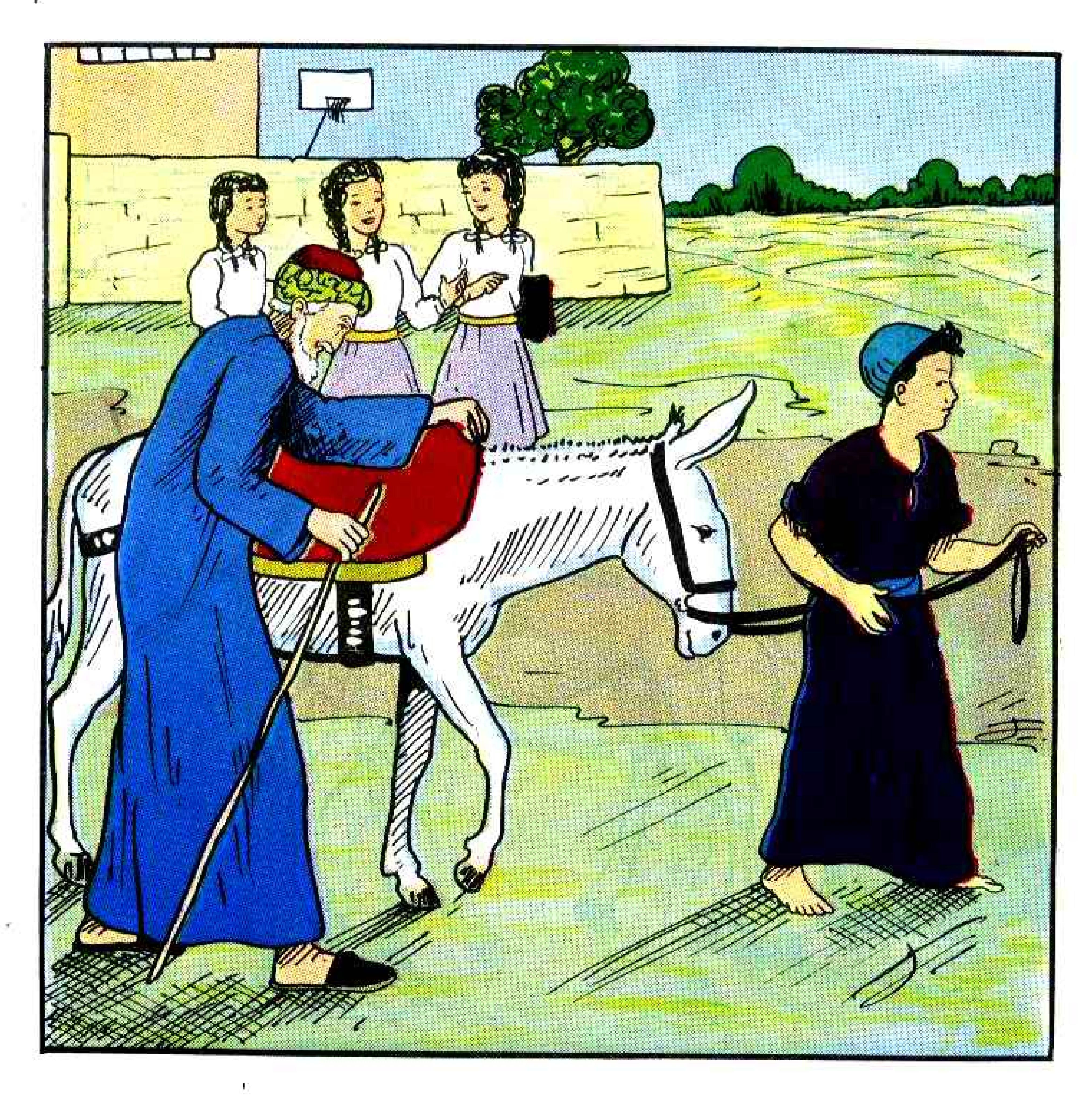
إِلَى السُّوق



خَرَجتْ فاطِمَةُ الْفَلاَّحَةُ مِنْ حَظِيرَةِ الْبَهائِم ،
وَوَقَفَتْ أمامَ زَوْجِها وهِىَ حَزِينَة ، وَقالَتْ لَه : ماتَتِ
الْبَقَرَةُ ياشَعْبان !! كَيفَ نَعِيشُ مِنْ غَيْرِ بَقَرَة ؟؟ فَكَّرَ
شَعْبانُ وَقال : نَبِيعُ الْحِمارَ وَنَشْتَرِى بَقَرَة .



أَخْرَجَ شَعْبَانُ الْحِمَارَ مِنَ الْحَظِيرَةِ ، وَقَالَ لِوَلَدِهِ حَسَن : نَذْهَبُ إِلَى السُّوقِ ، وَنَبِيعُ الْحِمَار ، وَنَشْتَرِي بَقَرَة ؛ لِأَنَّ الْبَقَرَةَ تَحْرُثُ الْأَرْضَ ، وَتَسْقِي الزَّرْعَ ، وَتَجُرُّ النَّوْرَج ، وَتُعْطِينَا لَبَناً وَزُبْداً وَجُبْناً .

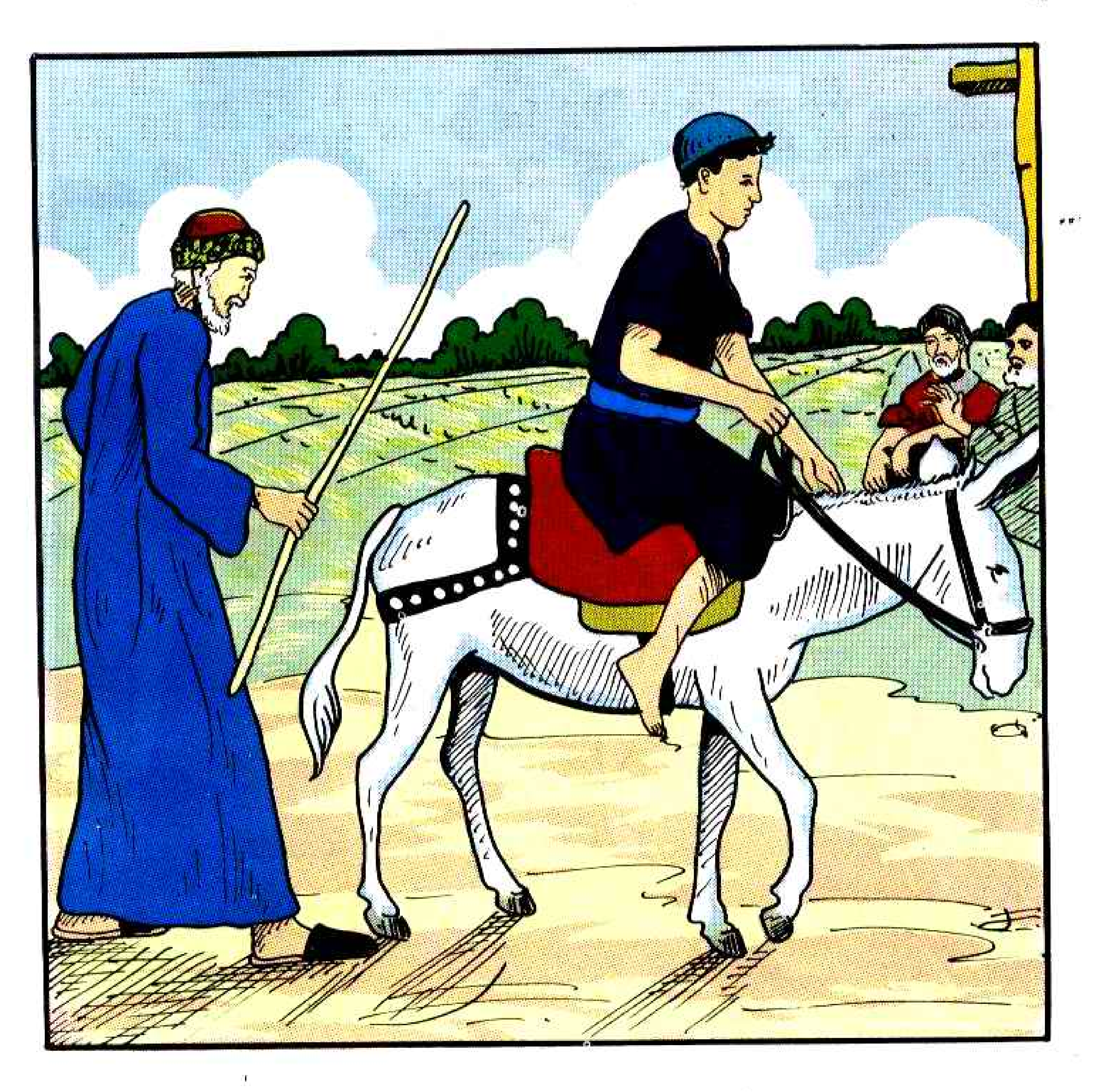


قَالَ حَسَن : إِذَا رَكِبْنَا الْحِمَارَ ظَهَرَ عَلَيْهِ التَّعَب ،

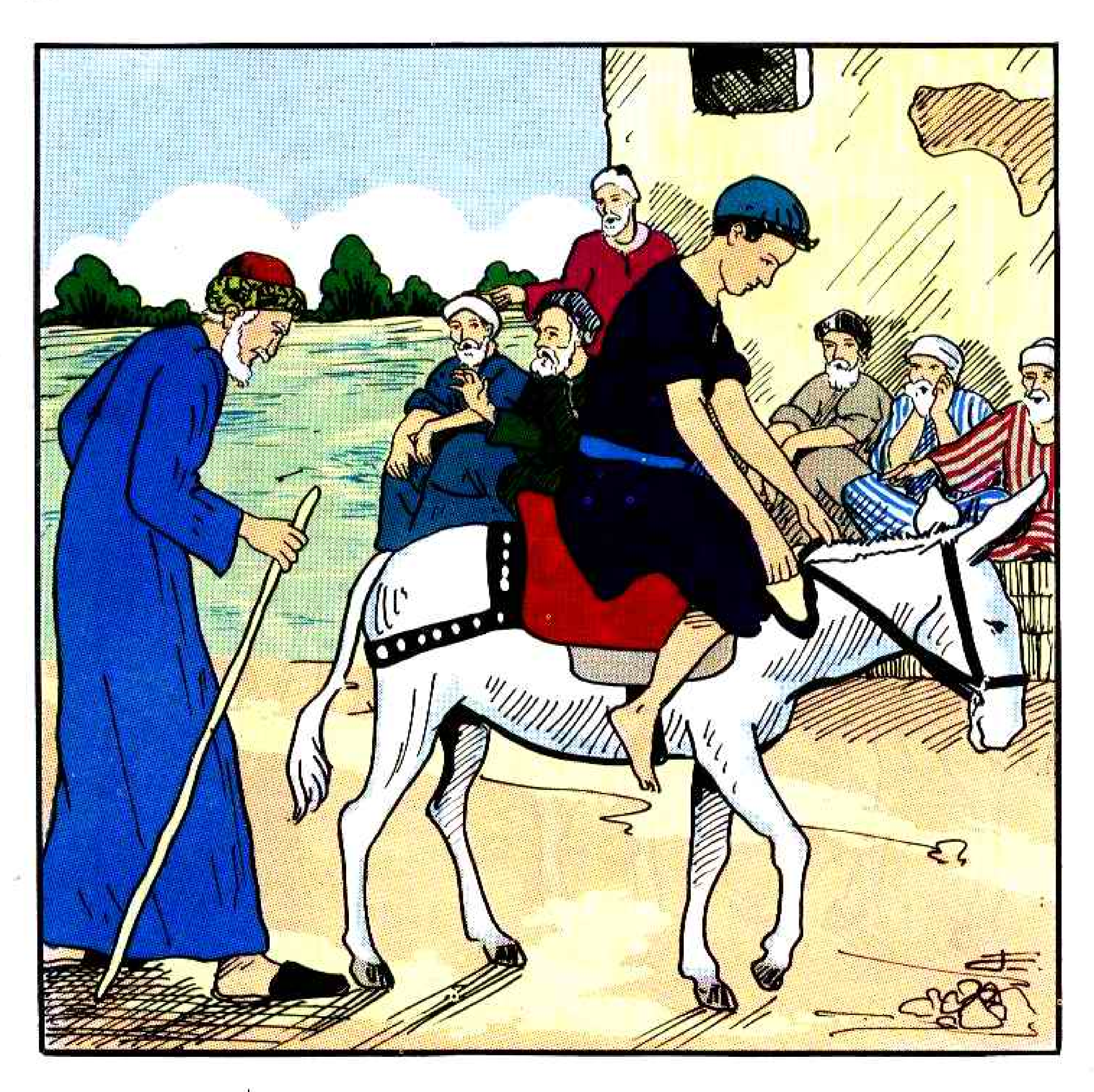
وَلَمْ يَدْفَعْ فِيهِ التَّاجِرُ ثَمَناً كَبِيراً ، نَسْحَبُهُ وَنَمْشِي ! !

وَرَأَتْهُمَا ثَلَاثُ تِلْمِيذَاتٍ صَغِيرَات ، فَضَحِكْنَ وَقَالَتْ وَاحِدَةٌ مِنْهُنّ :

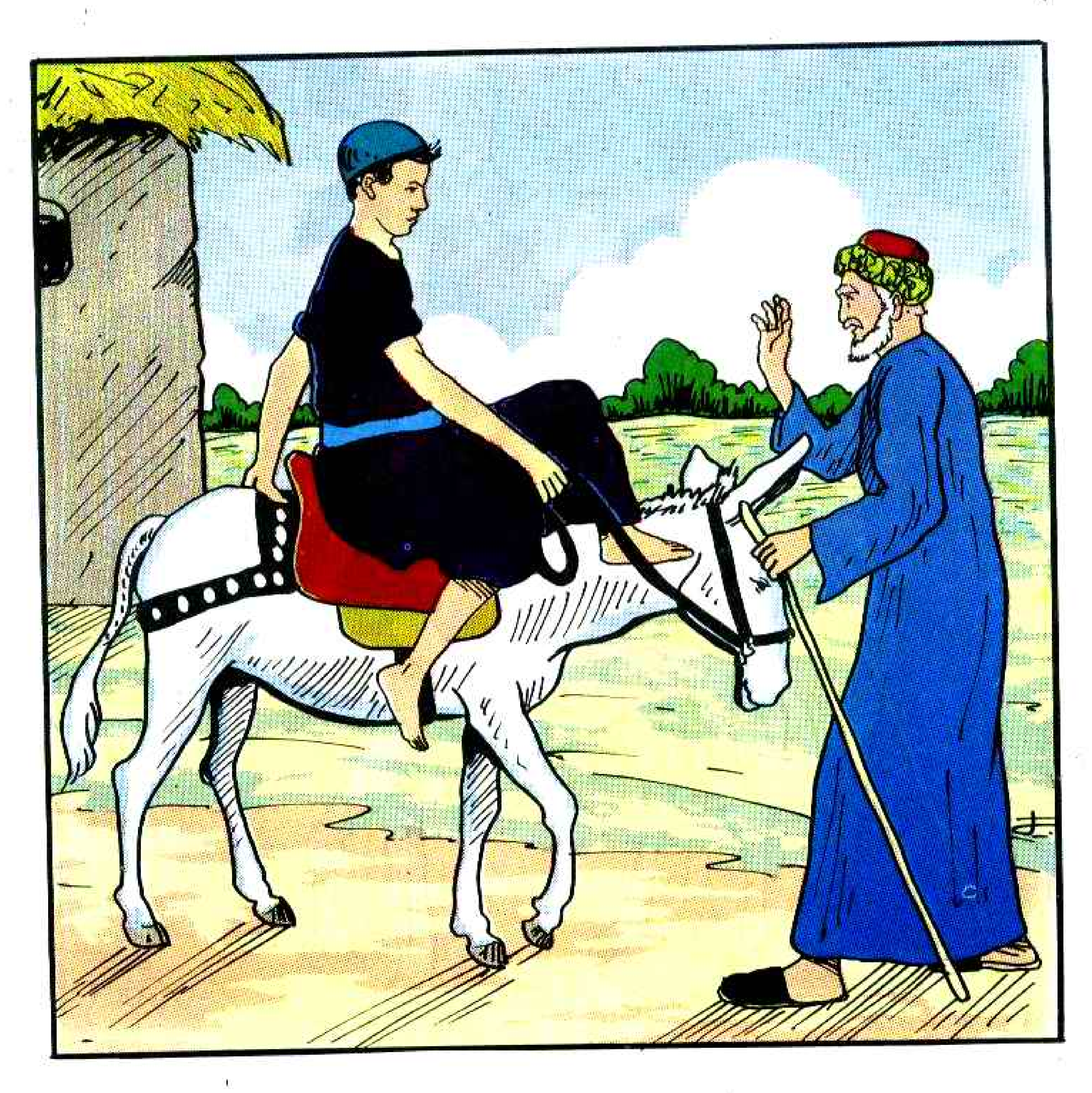
شَيْءٌ عَجِيب !! يَمْشِيَانِ وَمَعَهُمَا حِمَار !! فَسَمِعَ شَعْبَانُ وَوَلَدُه ..



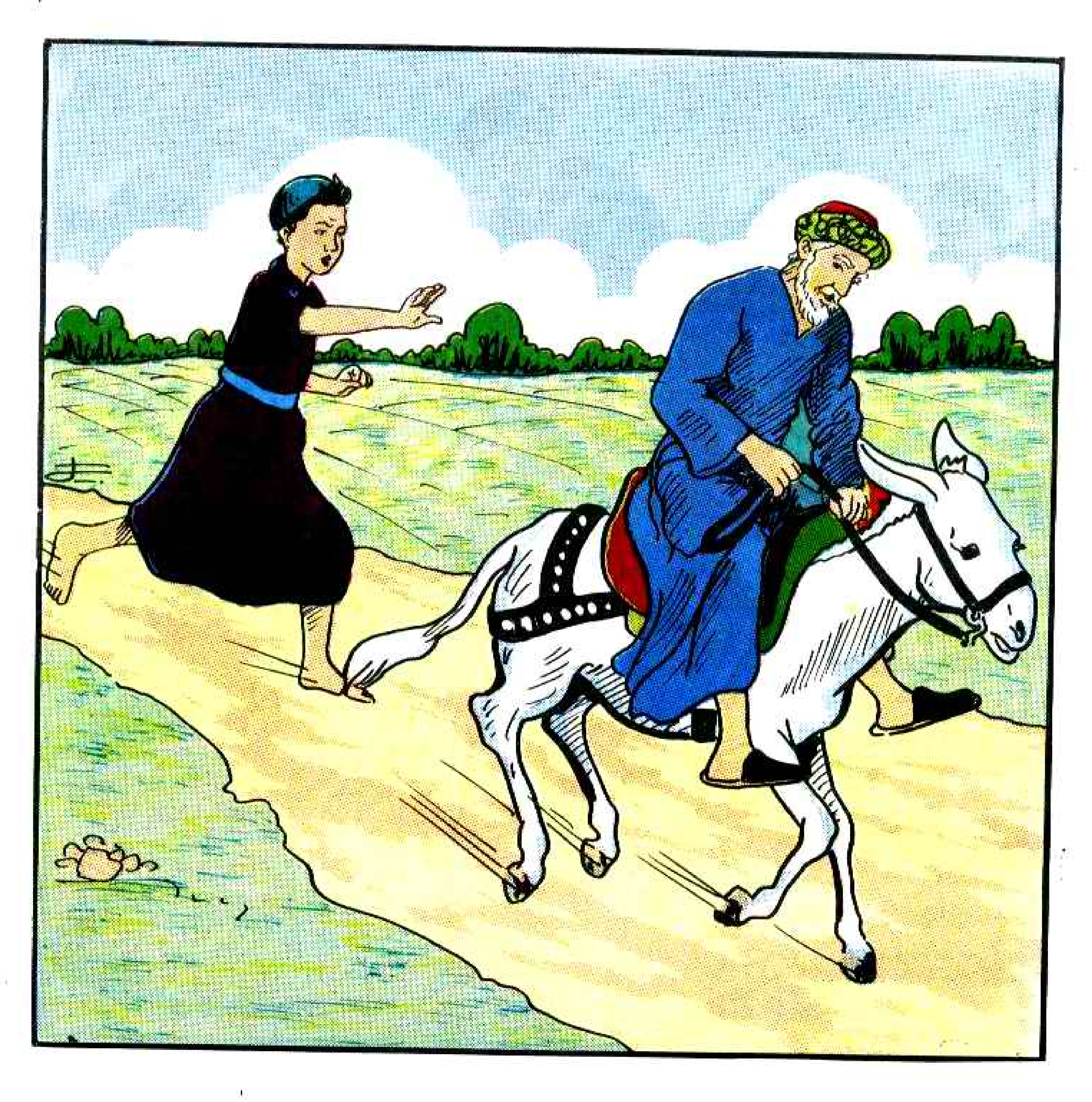
فَقَالَ شَعْبَان : أُنْظُرْ كَيْفَ انْتَقَدَتْنَا التِّلْمِيذَاتُ الصَّغِيرَات !! لَايَصِحُّ أَنْ نَفْعَلَ شَيْئاً يَنْتَقِدُهُ النَّاس !! اِرْكَبِ الْحِمَارَ لِأَنَّكَ خَفِيفُ لَاتُتْعِبُه ، وَسَأَمْشِي وَرَاءَكَ ، فَسَمِعَ حَسَنُ كَلَامَ أَبِيهِ وَرَكِبَ الْحِمَارَ ..



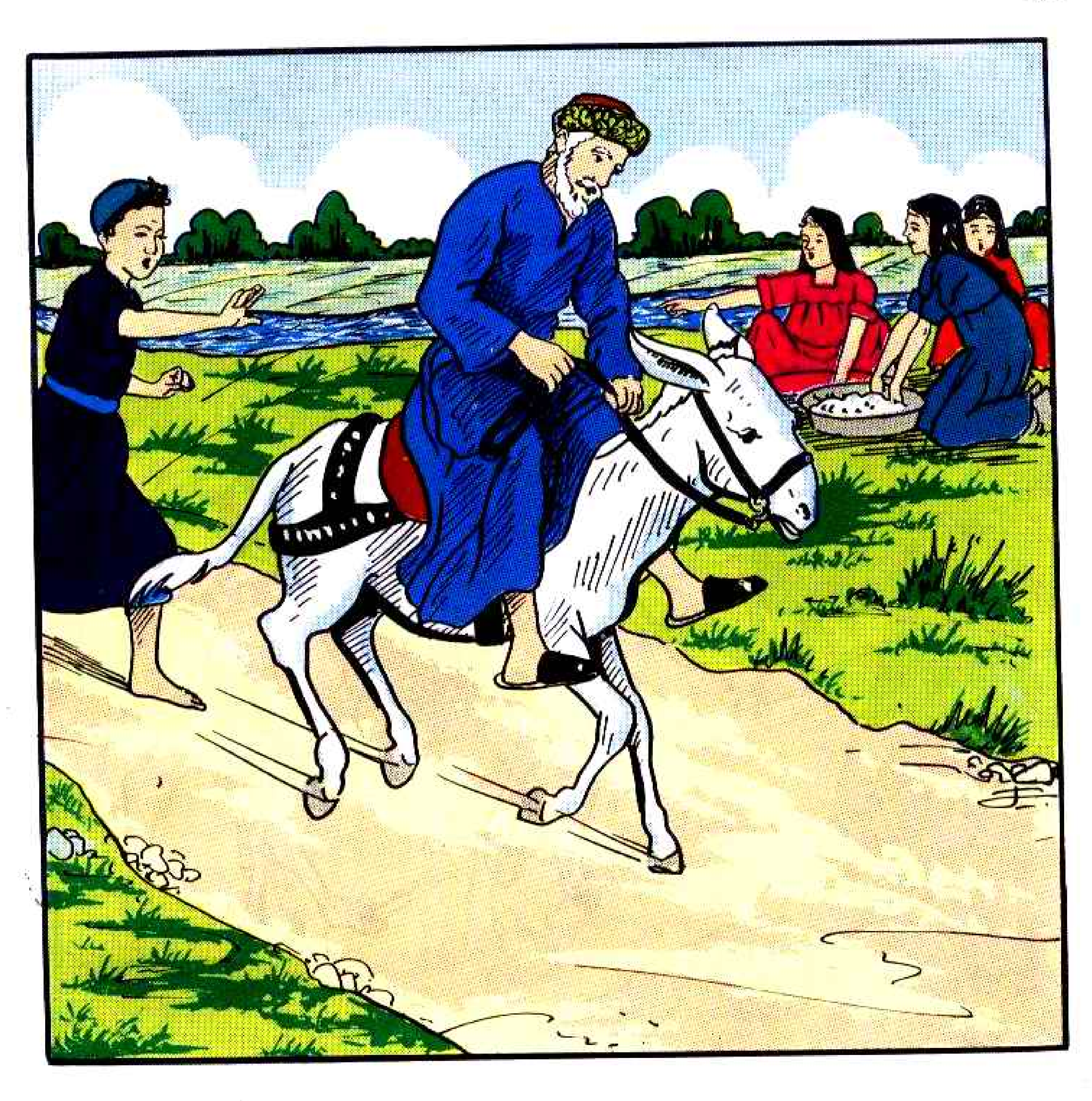
وَكَانَ شُيُوخٌ يَجْلِسُونَ فِي الطَّرِيقِ ، فَلَمَّا رَأَوْا حَسَنًا يَرْكَبُ وَشَعْبَانَ يَمْشِي وَرَاءَه ، تَعَجَّبُوا وَقَالَ أَحَدُهُمْ بِغَيْظٍ : كُنْتُ أَقُولُ لَكُمْ إِنَّ الشُّبَّانَ فِي هَذِهِ الْأَيَّامِ لَا يَحْتَرِمُونَ الشُّيُوخَ وَأَنْتُمْ لَا تُصَدِّقُونَ ، اُنْظُرُوا !!



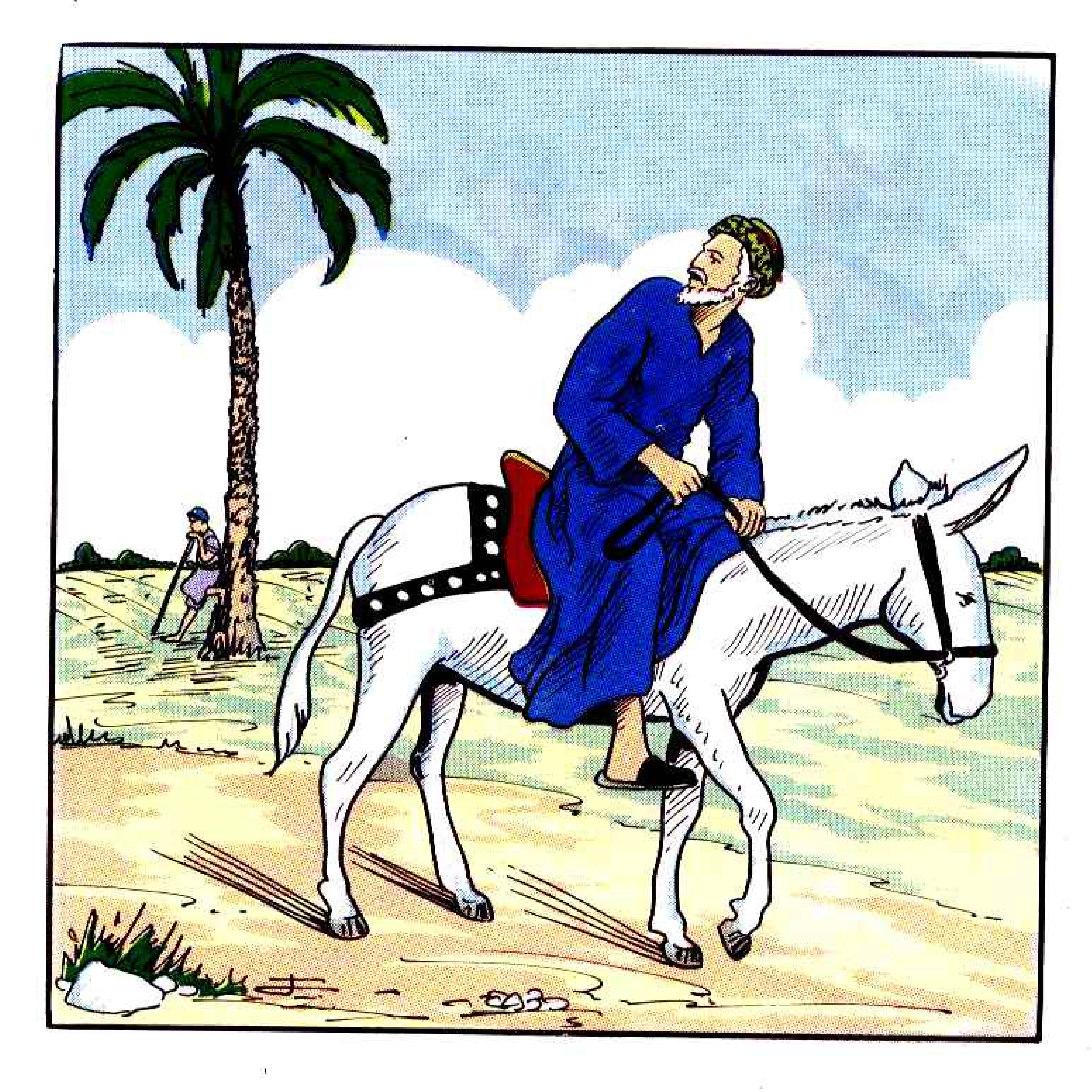
نَظَرَ حَسَنٌ إِلَى أَبِيهِ بِخَجَلٍ وَقَالَ : هَلْ سَمِعْتَ يَا أَبِي مَا يَقُولُونَ ؟ فَقَالَ شَعْبَان : قَوْلُهُمْ حَقٌّ يَاحَسَن ، فَمِنْ أَكْبَرِ الْعُيُوبِ أَنْ يَرْكَبَ الْوَلَدُ وَيَمْشِي أَبُوهُ !! هَيَّا انْزِلْ لِأَرْكَبَ وَلَوْ تَعِبَ الْحِمَار !!



رَكِبَ شَعْبَانُ وَهُوَ يَقُولُ : نَعَمْ لَا يَصِحُّ أَنْ نَفْعَلَ شَيْئًا يَنْتَقِدُهُ النَّاس !! وَصَارَ الْحِمَارُ يَرْمَحُ وَيَجْرِى ، وَشَعْبَانُ خَائِفٌ أَنْ يَسْقُطَ مِنْ فَوْقِه ، فَلَمْ يَنْظُرْ وَرَاءَه ، لِيَرَى حَسَنًا وَهُوَ يَجْرِى بِتَعَب .



وَكَانَ نِسْوَةٌ مِنَ الْفَلاَّحَاتِ يَغْسِلْنَ مَلاَبِسَهُنَّ بِجِوَارِ التُّرْعَة ، فَلَمَّا رَأَيْنَ شَعْبَانَ يَرْكَب ، وَحَسَناً يَجْرِي وَرَاءَه ، صَاحَتْ إِحْدَاهُنَّ : يَالَلْقَسْوَة !! لاَيُمْكِنُ أَنْ يَكُونَ هَذَا الرَّجُلُ أَباً لِهَذَا الصَّبِيِّ الْمِسْكِين ، لَوْ كَانَ أَبَاهُ لأَرْكَبَهُ مَعَه !!

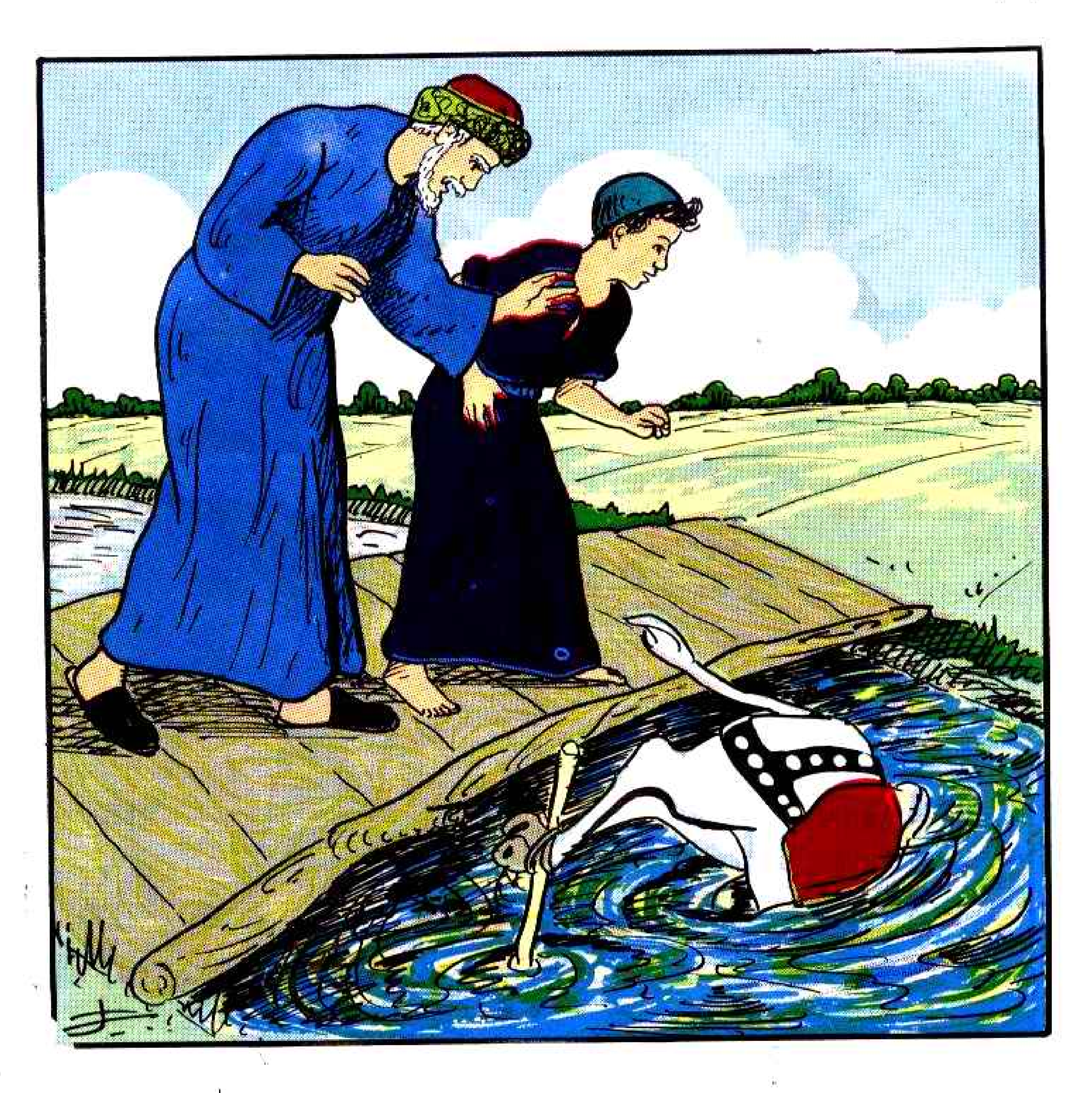


سَمِعَ شَعْبانُ كَلامَ النِّسْوَة ، فَوَقَّفَ الْحِمارَ ، وَنَظَرَ إِلَى الْخَلْفِ ثُمَّ قالَ بِأَسَف : حَقّاً ياوَلَدِى كُنْتُ قاسِياً عَلَيْك !! ما أَرَقَّ قُلُوبَ الأُمَّهات !! تَعالَ ارْكَبْ خَلْفِى ، فَإِنَّ تَعَبَ الْحِمارِ أَهْوَنُ مِنْ تَعَبِك !!

رَكِبَ حَسَنٌ خَلْفَ أَبِيه ، وَزَادَ حِمْلُ الْحِمَارِ ،
فَتَعِبَ وَصَارَ يَمْشِى بِصُعُوبَة ، وَيَجُرُّ أَرْجُلَهُ جَرًّا . .
وَرَآهُمَا شُرْطِىّ ، فَصَاحَ فِى شَعْبَانَ : لَابُدَّ أَنْ يَكُونَ
الْحِمَارُ مَسْرُوقًا ، لَوْ كَانَ حِمَارَكَ لَحَمَلْتَهُ عَلَى ظَهْرِكَ !!



لَمْ يفْهمْ شَعْبانُ أنَّ الشُّرطِيَّ يُوبِّخُه ، وَأرادَ أنْ يُظْهِر لَهُ أنَّ الْحِمارَ حِمارُه ، ولَيْسَ مَسْرُوقاً . فَأرْقَدَ الْحِمارَ عَلَى الأَرْض ، وَرَبَطَ أرْجُلَهُ بِحَبْلٍ مَتِين ، ووَضَعَ فِي الْحَبْلِ عَصاً غَلِيظَة ، وَحَمَلَ هُوَ وابْنُهُ الْحِمار ، وَسَارا . .



وَصَلاَ فِي الطَّرِيقِ إِلَى قَنْطَرَةٍ صَغِيرَةٍ ، وَلَمَّا أَرَادَا أَنْ يَعْبُرَاهَا وَهُمَا يَحْمِلاَنِ الْحِمَارَ ، اهْتَزَّتْ تَحْتَهُمَا ، فَسَقَطَ الْحِمَارُ فِي التُّرْعَةِ وَغَرِقَ . وَهُنَا صَاحَ شَعْبَانُ بِأَسَفٍ : خَسِرْتُ الْحِمَارَ ، لِأَنِّي أَرَدْتُ أَنْ أُرْضِيَ النَّاسَ جَمِيعًا . وَهَذَا مُسْتَحِيلٌ !!